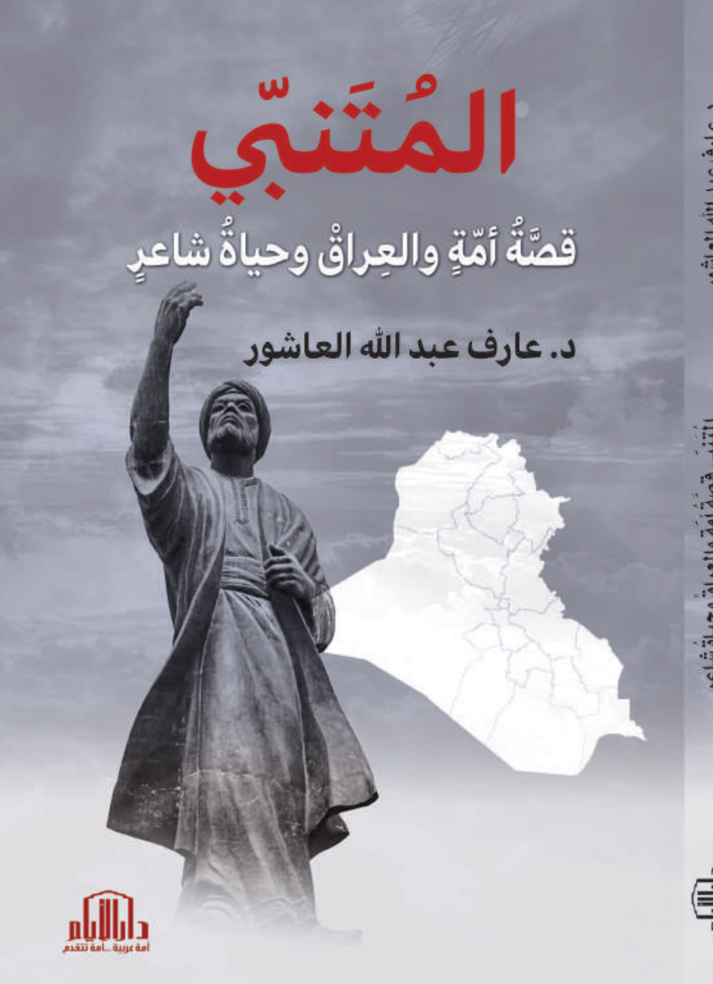
المُتَنبّي

قصَّةُ أمّةٍ والعِراقْ وحياةُ شاعرٍ

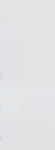
د. عارف عبد الله العاشور



دار الأيام
أمة عربية ...أمة تتقدم

د. عارف عبد الله العاشور

المُتنبّي قصّةُ أمّةٍ والعِراقْ وحياةُ شاعرٍ



الأستاذ عارف عبد الله سليم العاشور تدريسي في الجامعة الشمالية. حصل على البكالوريوس والماجستير في الترجمة من كلية الآداب - قسم الترجمة في جامعة الموصل في العراق في محافظة نينوى. حصل على درجة الدكتوراه في تخصص علم اللغة - دراسات الترجمة من جامعة بنكهامتون كلية هاربر في مدينة بنكهامتون في نيويورك - الولايات المتحدة الامريكية. خلال حياته المهنية كأستاذ جامعي له الكثير من المؤلفات، والبحوث، وباللغتين العربية والانكليزية.

ISBN:978-9923-52-185-4



القدس_عاصمة_فلسطين
Jerusalem, Capital of Palestine



دار الأيام للنشر والتوزيع
عمان - ش. الملك حسين - وسط البلد أول طلعة
جبل الحسين - بجانب سرفيس جبل الحسين خط 9
ص.ب925636 - العبدلي 11190 الأردن
هاتف: 4633362 - 6 - 00962
جوال: 707630 - 795 - 00962 - 509925 - 797 - 00962
E-mail: salah_tellawi@yahoo.com
alayamdar@gmail.com

المُتَنبّي

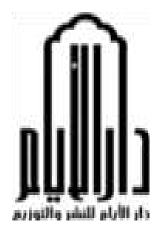
قصَّةُ أمّةٍ والعِراقْ وحياةُ شاعرٍ

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2024 /7 /4209)

بيانات الفهرسة الأولية للكتاب
عنوان الكتاب: المتنبي: قصة أمه والعراق وحياة شاعر
تأليف: العاشور، عارف عبدالله
بيانات النشر: عمان: دار الأيام للنشر والتوزيع، 2024
الوصف المادي: 140
رقم التصنيف:811.58
الواصفات: المتنبي// الشعراء العرب// الشعر العربي// العصر العباسي//
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية اخرى

ISBN:978-9923-52-185-4
2025

دار الأيام للنشر والتوزيع
عمان – ش. الملك حسين – وسط البلد أول طلعة
جبل الحسين – بجانب سرفيس جبل الحسين خط 9
ص. ب925636 – العبدلي 11190 الأردن
هاتف: 4633362 – 6 – 00962
جوال: 707630 – 795 – 00962 – 509925 – 797 – 00962
E- mail: salah_tellawi@yahoo. com
alayamdar@gmail. com



المُتَنبّي

قصَّةُ أمّةٍ والعِراقْ وحياةُ شاعرٍ [1]

الدكتور

عارف عبد الله العاشور

Ph.D. BINGHAMTONU UNIVERSITY



[1] Arabic Versionالنسخة العربية

المقدمة

رُبَّما تكونُ صلتُنَا بأيِّ عملٍ في حياتِنا سواءً أكانَ ثقافيًّا أمْ اجتماعيًّا، أو حتَّى صلَتُنَا بعملِنَا الَّذي نقتاتُ منهُ محضَ صدفةٍ، ورُبَّما تكونُ هذهِ الصُّدفةُ انطلاقتَنَا إلى عالَمٍ أَكبرَ وأوسَعَ وتكونُ هيَ الجزءُ الأهمُّ في حياتِنَا وعملِنَا، وقدْ تكونُ انطلاقةً مكمِّلَةً لِمسيرةِ حياتِنَا. ولكنَّ السُّؤالَ الَذي يطرحُ نفسَهُ هُنَا هوَ:

هلْ يُمكنُ أنْ نتقبَّلَ هذهِ الصُّدفةَ والعملَ الَّذي اكتشفْناهُ عنْ طريقِهَا مِنْ دونِ وجودِ دوافعَ أو حبٍّ، ألَا يوجدُ في داخلِ كلٍّ مِنَّا عواملُ تُهيِّؤُهُ وتعدُّهُ لتقبّلِ هذهِ الصُّدفةِ؟ ما سوف أقدِّمُهُ في هذا الكتابِ ليسَ محضَ صُدفةٍ، بلْ واقِعًا مَريرًا يعيشُهُ شعبٌ على مدَى عقودٍ مِنَ الزَّمانِ، ولِتشخيصِ هذا الواقعِ، أَجرَيتُ بحثًا ودراسةً مُستفيضةً لِكشفِ هذا الواقعِ أمامَ القُرَّاءِ. وقدْ تمَّ تشخيصُ هذا الواقعِ المريرِ مِنْ قِبَلِ المُتنبِّي، فهوَ ليسَ مِنَ الشُّعراءِ الّذينَ كمَا يُقَالُ: تعلُو أناشيدُهُ في الغرامِ عندَمَا يُرخِي الَّليلُ سدولَهُ.

وبتشخيص هذا الواقع الذي يعيشه الشعب العراقي اهدي هذا العمل المتواضع الى الثوار الشرفاء في ساحة الحبوبي...

ميعادُ كُلِّ رَقيقِ الشَّفرَتَينِ غَدًا　　　وَمَن عَصَى مِن مُلوكِ العُربِ وَالعَجَمِ

ومن الله التوفيق

الفصلُ الأوَّلُ

السِّياقُ التَّاريخيّ والسِّياسيّ للخِلافةِ العبَّاسيَّةِ فيمَا يتعلَّقُ بسيرةِ المُتنبِّي

1.1. الحياةُ المُبكِّرةُ للمُتنبِّي

يصِفُ أبو عليٍّ الحسنُ بنُ رشيقٍ القَيرَوانِي المُتنبِّيَ في كتابِهِ ((العُمدةُ في محاسِنِ الشِّعرِ وآدابِهِ)) بِهذهِ الطَّريقةِ: " ثُمَّ جاءَ المُتنبِّي فمَلأَ الدُّنيا وشغلَ النَّاسَ" (55)

المُتنبِّي يُحافظُ على تفاعلِ العالَمِ معْ شِعرِهِ ويَجعلُ النَّاسَ يُناقشُونَ أفكارَهُ ومعانِي أبياتِهِ الشِّعريَّةِ. في هذا الفصلِ، سوفَ أُصحِّحُ بعضَ أخطاءِ السِّيرةِ الذَّاتيَّةِ للمُتنبِّي الَّتي تَمَّ تَزويرُهَا، وسأُضيفُ المزيدَ إلى مَا كُتِبَ عنْ المُتنبِّي مِن قبَلِ باحثِينَ ونقَّادَ آخرِينَ. كما أُحاولُ الكشفَ عنْ بعضِ الجوانبِ السِّياسيَّةِ لشِعرِهِ الَّتي تمَّ تجاهلُهَا وإِهمالُهَا.

في التُّراثِ العربيِّ، يكونُ ظهورُ شاعرٍ في قبيلةٍ عربيَّةٍ حدَثًا مَصحوبًا باحتفالاتٍ كبيرةٍ. يَعملُ الشَّاعرُ طَوال حياتِهِ بمنزلةِ لسانِ حالِ قبيلَتِهِ، يُمجِّدُ أعمالَ رجالِهَا، ويَحثُّهُم على التَّوحُّدِ ومُحاربةِ أعدائِهِم، فضلًا عنْ مكانتِهِ المَرموقةِ في قبيلتِهِ، فكونُهُ شاعرًا يُعدُّ وسيلةً لِكسبِ المالِ.

أنْ تكونَ شاعِرًا في الوطنِ العربيّ يختلفُ ذلكَ عنِ المُجتمعاتِ والثَّقافاتِ الأُخرَى. فالشُّعراءُ كانُوا يَجنُونَ مبالغَ طائِلةً، خاصَّةً عندَمَا كانُوا يُشيدُونَ بِالملوكِ والحُكَّامِ. واسمُ شاعرِنَا هوَ: أبو الطَّيِّبِ أحمدُ بنُ الحُسينِ، المُلقَّبُ بـ:(المُتنبِّي)، ويعنِي حرفيًّا: (النَّبيَّ المُرتَقَب). وقدْ حاولَ الرَّافِضُونَ لشِعرِ المُتنبِّي إسقاطَهُ باستخدامِ هذا اللَّقبِ ضِدَّهُ، ولا تزالُ هذهِ التَّسميةُ قابلةً للجدلِ، وهناكَ العديدُ منَ القصصِ حولَهَا. ومعْ ذلكَ، فإنَّ أقربَ مَا يكونُ إلى الحقيقةِ هوَ مَا صرَّحَ بهِ شاعرُنَا المُتنبِّي في مُناسباتٍ عديدةٍ، يقولُ: (النَّاسُ نادُونِي بالمُتنبِّي؛ لأنَّني نظَمْتُ البيتَ الآتِي):

أَنَا في أُمَّةٍ تَدارَكَها اللهُ غَريبٌ كَصالِحٍ في ثَمودَ (22 المُتنبِّي)

ومِنْ هُنَا أَطلقَ النَّاسُ على شاعرِنَا المُتنبِّي؛ لأنَّهُ قارنَ نفسَهُ بِالنَّبيّ صالحٍ. وصالحُ هوَ نبيٌّ عربيٌّ مذكورٌ في القرآنِ، وهوَ مَنْ تنبَّأَ بِالقبيلةِ العربيَّةِ الأولَى ثَمودَ، بقولِ اللهِ تعالَى:

{ولَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُوْدَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيْقَانِ يَخْتَصِمُوْنَ} (سورةُ النَّمل 45)

والحقيقَةُ أنَّ صفةَ "المُتنبِّي" لَا تعنِي نبيَّ اللهِ، إنَّما يقصُدُ بِها رسولَ الشِّعرِ في المَيادِينِ والأقطارِ.

وللبُرهانِ على نبوءَةِ المُتنبِّي في الشِّعرِ، مَا قالَهُ خالدُ الكركي في كتابِهِ: ((صورةُ المُتنبِّي في الشِّعرِ الحديثِ)) (1999)، مِنْ أنَّ الشُّعراءَ تنافَسُوا على نبوءَةِ المُتنبِّي في الشِّعرِ العربيِّ (104)، وذلكَ في حديثِهِ عنْ مِهرَجانِ ساوباولو في البرازيلِ عامَ

1935، وهوَ أحدُ المِهرَجاناتِ العديدَةِ الَّتي تُقامُ في جميعِ أنحاءِ العالَمِ؛ إحياءً لِذكرى المُتَنبِّي. ويذكُرُ الكَركي (104-105) أنَّ رشيدَ سليم الخُوري في ذَلِكَ المِهرَجانِ شَرَحَ احتِماليَّةَ أنْ يكونَ المُتَنبِّي نَبيًّا، ويقولُ: إنَّ الشَّاعِرَ حصَلَ على صفَةِ النَّبيِّ بِحُكمِ شاعِرِيَّتِهِ ومكانةِ ديوانِهِ الشِّعريّ بينَ الأُممِ. وهذا التَّعليلُ يُعَدُّ مُهِمًّا، لأنَّ بعضَ النَّاسِ اتَّهمُوهُ بِادِّعائِهِ النُّبوَّة، وكونُ القرَويّ شاعِرٌ مَعروفٌ يُقِرُّ بِأنَّهُ إذا كانَ الإيمانُ مُشتَرِكًا بينَ كِتابِ اللهِ وشِعرِ المُتنبِّي فإنَّ القُرآنَ يُعدُّ كِتابًا للتَّشريعِ، وديوانَ المُتنبِّي هوَ قُرآنُ الشِّعرِ (105).

كِلَا أحْمَدَيْها جَاءَ فيهَا بِمُعجِزٍ   فَلِلشَّرعِ قرآنٌ وللشِّعرِ قرآنُ

عِندَ التَّمَعُّنِ في البيتِ أعلاهُ نجدُ أنَّ أحمدَ هوَ اسمٌ آخَرُ للنَّبيِّ مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وأحمدُ هوَ اسمُ المتّنبِّي كذلكَ، وكِلاهُما جاءَ بِمُعجِزةٍ كما يتَّضحُ مِنْ سِياقِ البيتِ الشِّعريّ المذكورِ أعلاهُ، فُمعجزةُ الرَّسولِ مُحمَّدٍ صلَّى الله عليهِ وسلَّمَ هيَ القرآنُ، ومعجزةُ المتنبِّي هيَ ديوانُه الشِّعريّ.

وبينَما كانَ البعضُ يدَّعي كونَ المتنبِّي نبيًّا، لمْ يزْعُمِ الشَّاعرُ أنَّهُ نبيٌّ على الإطلاقِ، ولكنَّ النَّاسَ همْ مَنْ أطلقُوا على شاعِرِنا لقبَ (المُتنبِّي)، وأعطَوهُ هذهِ المكانةَ الكبيرةَ؛ لأنَّهُم وجَدُوا في شِعرِهِ جِدةً غيرَ مَألوفَةٍ. فالمتنبِّي أتقَنَ الشِّعرَ العربيَّ ونقلَهُ إلى مرحلةٍ أكثرَ تقدُّمًا، فهوَ ليسَ رسولَ اللهِ وليسَ نبيًّا، وإنَّما كانَ هذا نتيجةَ الفَهمِ الخاطِئِ لِلَّقبِ مِنْ قِبَلِ النَّاسِ، وفي الواقِعِ المتنبِّي ضحيَّةً لِهذا الادِّعاءِ.

يَذكُرُ الصَّاحِبُ أبو القاسِمِ إسماعيلُ عليُّ بنُ عبَّادٍ في كتابِهِ ((الكشفُ عن مساوِئِ شعرِ المتنبّي)) أنَّهُ: منذُ القرنِ الخامسِ أصبَحَ اسمُ المتنبِّي مُرادِفًا للشّاعرِ العظيمِ، وقدْ أثَّرَ على الشِّعرِ العربيِّ تأثيرًا كبيرًا لا مثيلَ لهُ. وأصبحَ ديوانُ المتنبِّي طَوال العصورِ الوُسطى والعصرِ الحاضِرِ في مُتناوَلِ أيدي العُلماءِ والأُدَباءِ مِنْ فارِسَ إلى الأندلُسِ (16) .

إنَّ الشُّعَراءَ العربَ مَدِينونَ كثيرًا للمُتنبِّي، ويُعَدُّ الشَّاعرُ الشَّهيرُ أبو العلاءِ المَعَرِّي شاهِدًا آخَرَ دافَعَ عنِ المتنبِّي ضِدَّ الادِّعاءاتِ الَّتي تقولُ إنَّهُ ادَّعَى النُّبوَّةَ، وذلكَ حينَ أطلقَ على ديوانِ المتنبِّي اسمَ ((معجِزُ أحمد)). ولِلخوضِ أكثرَ في هذا المسارِ نذكرُ إشارةَ إبراهيمَ عبدِ القادرِ المازِنيّ و فائِز ترحيني في كتابِهِمَا : ((في الشِّعرِ غاياتُهُ ووسائِطُهُ))، إلى أنَّ: "الشُّعراءُ في العصورِ الأولَى الّتي مرَّتْ بهذِهِ الدنيا يُسَمَّوْنَ تارةً مُشرِّعينَ، وطَورًا أنبياءَ، حسْبَ العصورِ الَّتي ظهرُوا فيهَا، والأُمَمِ الّتي نبغُوا منهَا"(35). لذلكَ ليسَ غريبًا أنْ يُدعَى أبُو الطَّيِّبِ أحمدُ بنُ الحسينِ بـ(المتنبِّي).

وبِغضِّ النَّظرِ عنِ الجدلِ الّذي اتُّهِمَ فيهِ المُتنبِّي بادِّعائِه النُّبوَّةَ، فقدْ وُلِدَ في الكوفةِ مركزِ محافظةِ النَّجفِ، جنوبَ العراقِ عامَ 303هـ/ 915م، والكوفةُ حينَهَا جُزءٌ مِنَ الخِلافةِ العبَّاسيَّةِ، ومركزٌ للتِّجارةِ والتَّعليمِ، ومدينةُ الشِّعرِ والنَّحوِ العربيّ والأحزابِ السِّياسيَّةِ المُتضاربَةِ، الَّتي تتميَّزُ بطابَعِها الدِّينيّ الخاصِّ. كانَ والدُ المُتنبِّي عربيًّا، ومعْ أنَّ أصولَهُ عريقةٌ، بقيَ مُحتفِظًا بسرِّيَّةِ أصلِهِ، وهذا يقودُنَا إلى استنتاجٍ: إنَّ والدَ المُتنبِّي كانَ شخصًا حذِرًا، وقدْ واجهَ بعضَ الاتِّهاماتِ الَّتي

تنسبُ أصلَهُ إلى القرامِطةِ، وقدْ عالجَ مصطفى الشَّكعة في كتابِهِ: ((أبو الطَّيِّبِ المُتنبِّي في مصرَ والعراق)) حياةَ المُتنبِّي في العراقِ وبلادِ فارسَ، واستنكرَ كلَّ هذهِ الاتِّهاماتِ. ويذكر الشَّكعة أنَّ المُتنبِّي في شبابِهِ تأثَّرَ بأفكارِ القرامطةِ ومعتقداتِهِم، ثُمَّ بدأَ يسخرُ منْهُم ويرفضُهُم (37).

أمَّا فيمَا يخصُّ الخلفيَّةَ التَّعليميَّةَ للشَّاعرِ فقدْ درسَ معْ أصحابِ المكتباتِ في الكوفةِ، حيثُ لم يكُنْ بائِعو الكتبِ هؤلاءِ يجنُونَ المالَ مِنْ مُتاجرتِهِم بالكتبِ فحسْبُ، بلْ كانُوا رِجالًا يتمتَّعُونَ بغزارةٍ علميَّةٍ. والسَّببُ الحقيقيُّ الّذي يكمُنُ وراءَ ممارسةِ أمناءِ المكتباتِ لهذهِ الحِرفةِ هوَ قراءةُ الكتبِ وجذبُ العلماءِ والكُتَّابِ. كما درسَ المُتنبِّي الأدبَ والعلومَ في المدارسِ مع كبارِ العلماءِ، مثلَ أبي إسحاقَ إبراهيمَ بنِ محمدٍ الزَّجاجِ البغداديّ، ومحمَّدِ بنِ السَّراي أبي بكرٍ، المعروفِ باسمِ السِّرَاجِ، وأبي بكرٍ مُحمَّدِ بنِ الحسنِ البصريّ، وأبي عبدِ اللهِ إبراهيمَ بنِ محمَّدِ بنِ عرفةَ الأزديّ النَّحويّ المعروفِ بِنِفطَوَيهِ، وعبدِ اللهِ بنِ جعفرٍ بنِ دِرستوَيهِ، وكثيرٌ غيرُهُم. وقرأَ قصائدَ أبي تمَّامٍ، وبشارِ بنِ بردٍ، وأبي نوَّاس، كما قرأَ الفلسفةَ والمنطقَ والتَّصوُّفَ. حصلَ المُتنبِّي على جزءٍ مِنْ تعليمِهِ في دمشقَ، كمَا سنرَى لاحِقًا، ولهُ قراءَاتٌ على نطاقٍ واسعٍ في الشِّعرِ والنَّثرِ العربيّ، وإذا سألَهُ أحدُهُم سُؤالًا يقتبِسُ الإجابةَ منْ كلماتِ الأدبِ العربيّ الَّتي تختزنُهَا ذاكرتُهُ.

لقدْ زوَّرَ قتلةُ المُتنبِّي العديدَ مِنَ الحقائقِ عنهُ، وإحدَى هذهِ التَّزييفاتِ تتعلَّقُ باسمِ والدِهِ، فقالُوا إنَّ اسمَهُ عيدانُ السِّقاءِ، لكنَّ عصامَ السّيوفي في كتابِهِ ((العواملُ السَّياسيَّةُ في شعرِ أبي الطِّيِّبِ المُتنبِّي)) (2004)، قدَّمَ دَليلاً على أنَّ والدَ الشَّاعرِ

لمْ يكنْ يبيعُ الماءَ، وهوَ ليسَ عيدانُ السّقاء (153-152). وهذا الاسمُ -كما سنرى لاحقًا- هوَ لقبُ الشّخصِ الّذي اعتنَى بِالشَّاعرِ وساعدَهُ في زيارةِ القبائلِ البَدويَّةِ. والدُ المُتنبِّي مِنْ سُلالةٍ نبيلةٍ تنحدرُ مِنَ النَّبيِّ محمَّدٍ (صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم) الَّذي ينتمِي إلى العشيرةِ الهاشميَّةِ مِنْ قبيلةِ قريشٍ، لذلكَ استُهدِفَ مِنْ قبَلِ بعضِ الحكَّامِ والطَّوائفِ الدِّينيَّةِ؛ ممَّا جعلَ المتنبِّي مُحافِظًا على سِريَّةِ نسبِهِ، ولمْ يستطِعْ إعلانَ أصلِهِ؛ خوفًا مِنَ الاغتيالِ، ولكنْ بقيَتْ في داخلِهِ رغبةٌ أنْ يعرِفَ النَّاسُ أصلَهُ القبَليّ، على الأقلِّ ضِمنيًّا؛ لِذا نراهُ يعلِنُ ويؤكِّدُ بشكلٍ غيرِ مباشرٍ أنَّهُ ينحدِرُ مِنْ قبيلةٍ عربيَّةٍ يمانيَّةٍ نبيلةٍ بقولِهِ:

وَمَجْدي يَدُلّ بَني خنْدِفٍ عَلى أنّ كُلّ كَريمٍ يَمَانُ (33 المُتنبِّي)

يشدِّدُ الشَّاعرُ على أنَّهُ يمتلكُ إحساسًا بالعظَمَةِ والسُّموِّ، وأنَّ مقاومتَهُ وثباتَهُ متجذِّرةٌ بعمقٍ في الأرضِ مثلَ صخرةٍ في وادٍ، ونراهُ في الشَّطرِ الثَّاني مِنَ البيتِ يشبِّهُ نفسَهُ بِالجوزاءِ مقارنَةً معَ الأبراجِ الأُخرَى، حيثُ يقولُ: أنَا الجَوزاءُ، وباقي الشُّعراءِ مَا هُم إلَّا نجومٌ باهتةٌ، والنَّاسُ يتعلَّمونَ المهاراتِ ويقتبِسونَهَا مِنِّي:

أنَا صخرةُ الوَادِي إذَا مَا زُوحِمَتْ وَإذَا نَطقْتُ فَإنَّنِي الجَوْزاءُ (125 المُتنبِّي)

لَمْ يصرِّحْ بِنَسبِهِ صراحةً، لكنَّهُ _على الأقلِّ_ أعطَى بعضَ التَّلميحاتِ في شعرِهِ. وقدْ نعَتَ أولئكَ الَّذينَ لَمْ يعترِفُوا بِنُبلِهِ بِالجهلِ والغباءِ، وأنَّ الشَّخصَ الَّذي لا يستطيعُ أنْ يكتشِفَ نُبلَ نسبِهِ هوَ شخصٌ (غبيٌّ)، يتَساوَى معَ (المكفوفِ)، فكِلاهُمَا غيرُ قادرٍ علَى معرفةِ مَنْ يكونُ المُتنبِّي عندَمَا يُخفي أصلَهُ،

وفي البيتِ الآتي ـكمَا هُوَ الحالُ في قصائِدِهِـ يرسلُ الشَّاعرُ رسائلَ غيرَ مباشرةٍ إلى جماهيرِهِ حولَ نسبِهِ، فيقولُ:

وَإذَا خَفِيْتُ علَى الغَبيِّ فَعَاذِرٌ المُتنبِّي   ألَا تَراني مُقْلَةٌ عَمْيَاءُ (126 المُتنبِّي)

وقدْ نفَى عبدُ الغنيّ الملَّاحِ أيضًا، في كتابِهِ: ((المُتنبِّي يستردُّ أبَاهُ)) (1980) المَزاعمَ الَّتي تقولُ أنَّ المُتنبِّي هوَ ابنُ عيدانِ السِّقاءِ، وأكَّدَ أنَّ هذا الاسمَ (عيدانُ السِّقاءِ) قدْ أُعطِيَ لَهُ بعدَ أنْ غادرَ محكمةَ وزيرِ المهلَّبيّ في بغدادَ عامَ 965هـ، ولمْ يكنْ لِهذا الاسمِ وُجودًا قبلَ ذلكَ الوقتِ. ويذكُرُ الملَّاحُ أنَّ المُتنبِّي هوَ ابنُ الإمامِ الثَّاني عشرَ لِمحمَّدِ المهديّ بنِ حسينِ بنِ عليّ. ويقترحُ الملَّاحُ أنَّهُ؛ بِسببِ الاشتباكاتِ الطَّائفيَّةِ والتَّمزُّقِ في ذلكَ الوقتِ، اعتادَ الحُكماءُ على الاختباءِ بِاستخدامِ أسماءَ وعناوينَ مختلفَةٍ؛ لأنَّهُم كانُوا يخافُونَ الاغتيالَ (47). وقدِ اعتمدَ الملَّاحُ في حكمِهِ هَذا على دَليلَينِ:

الأوَّلُ: هوَ دليلٌ أدبيٌّ يُشيرُ فيهِ إلى أنَّ المُتنبِّي ـمِنْ خلالِ شِعرِهِـ طلبَ حقَّهُ في الاعترافِ بِالنَّسبِ النَّبيلِ والحصولِ علَى مَنصبٍ قياديٍّ، مُصرِّحًا بِهذا في قولِهِ:

سَأَطلُبُ حَقّي بِالقَنا وَمَشايِخٍ كَأَنَّهُمْ   مِنْ طُولِ مَا التَثَمُوا مُردُ (198 المُتنبِّي)

أمَّا فيمَا يخصُّ الدَّليلَ الثَّاني، فالملَّاحُ يدعمُ حكمَهُ عنِ النَّسبِ النَّبيلِ للشَّاعرِ بِالإثباتِ عنْ طريقِ الحسابِ الرِّياضيّ، حيثُ يثبِتُ أنَّ المُتنبِّي هوَ سليلُ المَهديّ (165). ومعْ ذلكَ، مِنَ المُهمِّ التَّركيزُ علَى شيءٍ أكثرَ ديمومةً مِنْ علاقتِهِ بِالشَّرفِ العربيِّ النَّبيلِ. والشَّيءُ القيِّمُ هوَ التَّركيزُ على أدبِ وفنِّ المُتنبِّي، ومكانَتِهِ بينَ الأُدباءِ الكلاسيكيِّينَ والمُحدَثِينَ.

تُوُفِّيَتْ والدةُ المُتنبِّي وهوَ في شبابِهِ، ولا نعرِفُ عنْهَا الكثيرَ؛ لأنَّهُ لـمْ يُخاطِبْهَا في شِعرِهِ. ويبـدُو أنَّ جدَّتَـهُ لِأمِّـهِ قـدِ اهتمَّـتْ بِـهِ، وكانَـتْ أوَّلَ مَـنْ غـرَسَ فيـهِ روحَ العَظَمَةِ والقوَّةِ والحيويَّةِ، أخبرَتْهُ عنْ أصلِهِ النَّبيلِ، وكِلاهُمَا أبقَاهُ سِرًّا؛ لِأنَّهُمَا كانَا خائفَينِ مِنَ العَلَويِّينَ؛ خَوفًا مِنْ اغتيالِهِ، ومِنْ أجلِ الاختفاءِ عنْ أعدائِهِ وتضليلِهِم، أرسلَتْهُ معَ عيدانِ السِّقاءِ إلى الصَّحراءِ لِزيارةِ القبائلِ البَدويَّةِ، والتَّظاهُرِ بِالسَّعي إلى دراسَةِ الّلغةِ العربيَّةِ الفُصحَى.

أمضَى المُتنبِّي جزْءًا مِنْ طفولتِهِ في صحارِي دولتَيْ مَا يُسـمَّى اليـومَ بِـالعراقِ والمَملكةِ العربيَّةِ السَّعوديَّةِ، حيثُ عاشَ معَ البدُو، وهُناكَ لمْ يتعلَّمْ الّلغـةَ العربيَّـةَ الفُصحَى فحسْبُ، بلْ شهِدَ أيضًا الحيـاةَ بِتقاليـدِهَا ورِمالِهَـا وطيورِهَـا وحيواناتِهَـا وأمثالِهَـا وشـروقِهَا وغروبِهَـا. وعنـدَمَا ماتَـتْ جدَّتُـهُ، فقـدَ اتِّصـالَهُ الوحيـدَ بِأصـلِهِ النَّبيـلِ، والمُتنبِّي يـذكرُ جدَّتَـهُ في شِـعرِهِ مِـنْ خـلالِ تسـميَتِهِ لهَـا بـ(أُمِّهِ) في قصـيدةٍ واحدةٍ، وهيَ قصيدةُ الرِّثاءِ الَّتي خصَّصَهَا لهَا، وقدْ أَلَّفَ أفضلَ أبياتِهِ عنـدَمَا ماتَـتْ في غيابِهِ، وفيهَا عبَّرَ عنْ كربِهِ وندمِهِ:

هَبِينِي أَخَذْتُ الثَّأرَ فِيكِ مِنَ العِدَا   فَكَيفَ بِأَخذِ الثَّأرِ فِيكِ مِنَ الحِمَى (175 المُتنبِّي)

في البيتِ الشِّعرِي أعلَاهُ نـرَى انـدهاشَ الشَّـاعرِ؛ لِاكتشـافِهِ عـدوًّا غيـرَ البشـرِ تمكَّنَ مِنْ قتْلِ جدَّتِهِ، فهوَ يُدينُ الحربَ ويُهدِّدُ أعداءَهُ، غيرَ أنَّ غدرَ القدَرِ هوَ الَّذي يُخطِّطُ هذهِ المؤامرَةَ، فقدْ يكونُ قادرًا علَى الانتقـامِ مِـنَ الأعـداءِ، لكنَّـهُ غيـرُ قـادرٍ علَى الانتقامِ مِنَ الحِمى، وقدْ فسَّرَ الملَّاحُ البيتَ أعلَاهُ تَفسيرًا آخرَ بِقولِهِ:

إذا كان يوجدُ أعداءُ لِتلكَ العجوزِ الصَّالحةِ، فمَنْ هُم؟ ومَا سِرُّ عداوَتِهِم؟ لا شكَّ أنَّ تلكَ العداوَةَ ذاتُ علاقةٍ مباشرةٍ بزواجِ ابنتِهَا مِنْ رجلٍ أولدَهَا طفلاً، ومَا أرادُوا أنْ يكونَ لهَا ذلكَ، وكبرَ الطِّفلُ وصارَ شابًّا، ودفعَهُ حماسَهُ إلى المُطالبَةِ بِحقِّهِ في نسبِهِ فتركَّزَتِ العداوةُ (91).

ومعْ ذلكَ، أينَمَا سافرَ المُتنبِّي كانَ النَّاسُ يسأَلُونَهُ عنْ نسبِهِ، ولكنْ؛ لِأسبابٍ أمنيَّةٍ لمْ يتمكَّنْ مِنْ إعلانِ مَا هوَ عليهِ، معْ أنَّهُ كانَ فخورًا بِأسلافِهِ، إلَّا أنَّهُ كانَ كثيرَ الفخرِ بِنفسِهِ وبِشِعرِهِ الَّذي أورثَهُ مَجدَهُ.

وهَذا يتطابقُ معَ مَا قالَهُ مَالكولم كامِيرون لايونز في كتابِهِ: ((التَّعريفُ والهُويَّةُ في الشِّعرِ العربيّ الكلاسيكيّ))، حيثُ قالَ: إنَّ الشَّاعرَ (مِنْ خلالِ شدَّةِ كبريائِهِ، يُعمِّمُ تفوُّقَهُ الشَّخصيّ مِنْ خلالِ جعلِهِ المرحلةَ الأخيرةَ مِنَ الإنجازِ البشريّ) (ترجمة: د.عارف) (225):

لا بِقَومِي شَرُفْتُ بَلْ شَرُفُوا بِي   وَبِنَفسِي فَخَرْتُ لا بِجُدُودِي
وَبِهِمْ فَخرُ كُلِّ مَنْ نَطَقَ الضَّادَ   وَعَوذُ الجاني وَغَوثُ الطَّرِيدِ

(المُتنبِّي 21)

والبيتُ الأخيرُ هوَ إشارةٌ غيرُ مباشرةٍ إلى نسبِهِ وانتمائِهِ إلى أصلٍ نبيلٍ. ومعْ ذلكَ، ينتابُهُ شعورٌ بِأنَّهُ غريبٌ بينَ الشُّعوبِ العربيَّةِ؛ لأنَّهُ كانَ يعتقدُ أنَّهُ الشَّخصُ الوحيدُ المهتَمُّ بِمستقبلِ السِّيادةِ العربيَّةِ، بينَمَا كانَ الآخَرُونَ غافلِينَ ومشغولِينَ ومَخدوعِينَ بِالمظاهرِ. رأَى المُتنبِّي الحكَّامَ العربَ ضعفاءَ يتصرَّفُونَ كمَا لَو كانُوا يُقتادُونَ مثلَ الأغنامِ ويتأثَّرونَ بِالغُزاةِ الَّذينَ ليسَ لديهِم مبادئُ، فقدْ شهِدَ انحطاطَ

الحُكمَ العربيَّ، وتفكُّكَ الدَّولةِ العبَّاسيَّةِ، كمَا عانَى مِنْ تدهورِ المجالاتِ السِّياسيَّةِ والأخلاقيَّةِ والنَّفسيَّةِ. لقدْ كانَ علَى حقٍّ عندَمَا قالَ أنَّهُ "غريبٌ مثلَ صالحٍ في (ثمودَ)"، فهوَ غريبٌ بينَ قومِهِ كغربةِ رُسلِ اللهِ بينَ أقوامِهِم. كانَ المُتنبِّي رمزًا لِلقوميَّةِ العربيَّةِ، وهوَ فارسٌ ومُحاربٌ، ويقولُ في ذلكَ:

مَفرَشِي صَهوَةُ الحِصَانِ وَلَكِنَّ قَميصِي مَسرُودَةٌ مِنْ حَديدِ (المُتنبِّي 20)

2 .1. السِّياقُ الاجتماعيّ والسِّياسيّ والتَّاريخيّ لِلخلافةِ العبَّاسيَّةِ

قبلَ التَّعمُّقِ في الجدلِ حولَ سيرةِ المتنبِّي، سنُسلِّطُ الضَّوءَ قليلًا علَى الخلافةِ العبَّاسيَّةِ الَّتي لهَا علاقةٌ مُهمَّةٌ بِحياةِ الشَّاعرِ. تأسَّستِ الخلافةُ العبَّاسيَّةُ في عامِ (750–1258م) باسمِ الإسلامِ، واتَّخذَتْ بغدادَ مركزًا لهَا، وامتدَّتْ رقعتُهَا مِنْ حدودِ الصِّينِ في الشَّرقِ، إلى الأندلسِ (إسبانيا الحديثةِ) في الغربِ، وجبالِ طُوروسَ (تركيَّا الحديثةِ) في الشَّمالِ، وجزيرةِ سقطرى (جنوبَ اليمنِ الحديثِ)، ازدهرَتْ في عهدِ الخلافةِ العبَّاسيَّةِ إنشاءَ أوَّلِ مؤسَّسةٍ تربويَّةٍ وعلميَّةٍ في بغدادَ عُرِفَتْ بِاسمِ: بيتِ الحكمَةِ. ورعَى الخليفةُ هارونُ الرَّشيدُ العلومَ والآدابَ والتَّرجمةَ إلى اللّغاتِ الأُخرَى (788–810م).

وتؤكِّدُ منى بيكر في موسوعةِ روتليدج لدراساتِ التَّرجمةِ (1998) أنَّ بيتَ الحكمَةِ: "عملَتْ كأكاديميَّةٍ ومكتبةٍ وديوانٍ لِلتَّرجمةِ، وأنتجَتْ ترجماتٍ مِنَ اليونانيَّةِ والسِّريانيَّةِ والفارسيَّةِ والسَّنسكريتيَّةِ والنَّبطيَّةِ" (ترجمة: د.عارف) (331)
.